# الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى *

عبد العزيز بن عبد الله
الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة أيضا منذ اعرق (2) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الايرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبني تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضي الله عنه « وعربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهواز » والاهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز واصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى ان كلمة الاهواز اسم عربي اطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الاقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على اقصى جنوب المغرب في الاطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى في عام 35 قبل الميلاد ( في الكتاب الذي صنفه حول « حرب يوغورتا » ملك نوميديا من اسر امراء البربر والمولود عام 154 قبل الميلاد ) ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية ( اي اسبانيا والبرتغال ) في عهد هيراكلس (Héraclés) ( وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى ) قد تحولت اشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطيقي فوصلوا

---

(x) هذا نص محاضرة القاها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في ابى ظبي يوم رابع يناير 1973 .

(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمى الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام 1762 م ( 1176 هـ ) بهذا الزعم الذي ردده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع ـ كما يقول نيبور ـ لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

الى جنوب المغرب حيث اتصلو بالجيتول (Gétules) ( وهم اهل جزولة الحالية على ما يظهـــر ) فتصاهروا معهم وسميت سوس ( وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسية كـــورة بالاردن ( معجم البلدان ج 5 ص 173 ) وسوسة مدينة بالصين ( صبح الاعشي ج 4 ص 483 ) اقتبسنا من كلمـــة سوسانة (Susiane) ( او ارض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الاهواز على ان الفرس قد اشتهـــروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وقد أطلق هذا الاسم على اهل نوميديا وهي اقليم افريقي يقع بيـــن منطقة قرطاج التي اسسها الفينيقيـــون كعاصمـــة لمستعمرتهم عام 814 ق. م. وبلاد موريطانيا وقـــد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكـــم الروماني وسنرى كيف ان هذه العناصر تشكل حلقات فى الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ اعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي ، نعم كان للعرب الكنعانيين اي الفينيقيين جولات فى الخليج العربي فهم الذين اسسوا مدينـــة تيـــر (Tyr) ( صور الحالية فى لبنان ) فى الالـــف الثالثة قبـــل الميلاد ، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التـــي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الأسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين اسسوا مدينة قرطـــاج ( واسمها محرف عن قرية حداش اي القرية الحديثة لانها اسست بعد كل من مدينة أوتيك (Utique) التونسية ومدينة ليكس (Lix) المغربية حوالي ( 110 ق. م. ) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكـــم الروماني عام 64 ق. م. واشرف عليها وعلى قصـــر فرعون اي وليلي القديمة (Volubilis) بالمغرب الاقصى الامبراطور الرومانـــي سبتيـــم سيفيـــر (Septième sévère) بين سنتي 193 و 211 ق. م

ويرى بعض المؤرخين ان الفنيقيين كانوا قـــد استقروا فترة من الزمن فى شواطيء الخليج قبل ان ينتقلوا الى الساحل السوري وانهم سموا مدينة « صور» على شاطيء البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهـــم الاولى على شاطيء الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها فى المنطقتين تضفي على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وان مؤرخين محدثين قد اكدوا ذلك ومن جملتهم الاستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) فى كتابه « الخليج الفارسي ( Le Golfe Persique) والاستاذ امين الريحاني الذي ابرز بالاضافة الى ما ذكر تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية فى كتابـــه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفنيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنســـون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط واسسوا ليكس واوتيك ومالقـــة وقادس ( بالاندلس ) وهبو ( عنابة وبنزرت ) ثم تجاوزوا حسب سترابون اساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطيقي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل فى رحلته فى القرن الخامس قبل الميـــلاد الى درعـــة والساقية الحمراء وربما غينيا فى قلب القارة الافريقية وقد اصبحت اللغة البونيقية (Langue punique) المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محليـــة لغة اشبه بعامية افريقيا الشمالية فى العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها فى مجلة « اللسان العربي » ( التـــي اتشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطـــن العربـــي » ) .

وخلاصة ما فى هذا البحث انه عثر فى البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم فى المغرب العربي ان هذه اللهجات ليست سوى امتداد اصيل للغة بني كنعان العربية التي استعملت قبـــل الاسلام فى كل من الخليج العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من الف عام ، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الغربين بليون الافريقي (Léon l'Africain) ان الفينيقيين عنصر هام فى سكان افريقيا الاقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تتابعـــت الجاليات ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055ق.م والواقع ان العرب كانوا يمـــلأون ـ باضافـــة الى الشمال الافريقي ـ هضبات وبطاح جنوب افريقيـــا حيث كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبيز فى مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رســـوم مكتوبة استدل بها على ان العرب استثمروا مناجـــم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم اسلافهم عـــرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج2 ص 43) ان الحضارة ظهرت فى بلاد اليمن وبـــلاد المغـــرب القديمة وانتشرت فى صورة مثلث الى شومر وبابل واشور ومصر ويعضد هذه النظرية ما قيل من أبوة

اليمن ( بلد العرب البائدة ) للشعب العربي في سائر اقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه ( ج 1 ص 99 طبعة بيروت ) عن عروبة جبال الاطلس المغربية فأشار الى ما أكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من أن صنهاجة ( سكان الاطلس الاوسط ) ومصمودة ( سكان الاطلس الكبير ) وكتامة ( بشمال وشرقي المغرب الاقصى ) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة ـ حسب هذه الرواية ـ أعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الاعشى ( ج 1 ص 321 ) فلاحظ أن افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام ـ مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي ـ الى المغرب ملاحظا أن اكثر الاقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم ( في جمهرته ) وتبعه ابن خلدون ( التاريخ ج 6 ص 96 ) الذي زعم انه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر أن ابن خلدون افضل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم ( أي عيذاب وبور سودان الحالية ) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراكش تلك الطريق التي اكد الحسن الوزاني في وصف افريقيا ( ج 1 ص 14 و29 ) أنه رافق عام 918 هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني ( هانز (Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن ( تعريب خيري حماد ص 134 ) التشابه الملحوظ بين الالحان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهام لخمان ( 1793 م ـ 1851 م ) من تسجيلها فابرز وحدة الانشاد ، أضف الى ذلك وجود ابنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد شرح هورن بوستل النمسوي ( 1877 ـ 1935 م ) انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسنرى كيف أن سجلماسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس ببدع ان يوغل في الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما وان هؤلاء كان دابهم في جميع الاعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النيجر أم في السودان أم في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد أسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع المجلوبة من اقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية في تاريخها فالى القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسليمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي أيام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خرداذبة صاحب المسالك والممالك المتوفى عام 300 هـ أما في أوائل القرن الرابع فهنالك الحسن المهلبي الذي رحل الى السودان عام 375 هـ ومحمد التاريخي الاندلسي المتوفى عام 363 هـ وهو صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وأبو دلف الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري صاحب « الاقاليم » و « الممالك » الذي لقي ابن حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجوهر » الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع أن طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام 31 هـ ( 651 م ) بتتابع سفارات بلغت في ظرف 147 سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية ( مجلة بناء الصين عدد 3 ـ 1966 ) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik) ( دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024 ) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب أوربا او من الشمال الافريقي او من روسيا تؤدي الى ميناء الأبلة وميناء البصرة وقد أكد الرحالة بانيكار في كتابه

حول « آسيا والسيطرة الغربية » ان العرب سواء فى الشرق ام فى الغرب اصبحوا يتنافسون مع الشعوب الاخرى على تجارة الافاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس فى المغرب الاقصى ( ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ) اضف الى ذلك ان تجارة الرقيق المجلوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع فى تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الاندلس والمغرب الى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية فى الخليج العربي بنشاط غامر فى هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت فى شهرتها ميناء الأبلة الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الاوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد الى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماسةمبلغا جعل الاندلسيين انفسهم يتعاملسون بالدنانير السجلماسية ( البيان لابن عذارى ج 2 ص 344 ) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية فى طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 فى الانقاض الاسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الاموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واضطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وافريقيا .

واذا علمنا ان البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء فى جانب الارض المزروعة وبساتين النخيل فى منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط انظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث اسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة فى طريق القوافل الى أن هدمها ابو الفتوح عام 368 هـ ( البيان لابن عذارى ج 1 ص 330 ) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفتجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل ايصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته فى المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت ايضا بسجلماسة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا ( المسالك والممالك ص 70 ) عن العوائد التجارية بهذه المدينة ( عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ ) فلاحظ انه « راى صكا فيه ذكر حق على رجل من اهل سجلماسة لرجل آخر من اهلها بأربعين الف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق ( ولعله يعني البصرة ) وكان التجار المسيحيون الواردون من الاندلس وتلمسان يمرون بسجلماسة الذي اكد ياقوت الحموي فى معجمه ان مصانع نسيجها بذت فى جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خردادبة الجغرافي العربي فى القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يمرون فى وجهتم نحو لشرق عن طريق سوس الادنى اي طنجة ومنها الى افريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الادنى بالاضافة الى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القول بأن هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكنانة ولعله ليس من العبث ان تحمل مدن مغربية واندلسية على طول الطريق الغربي اسماء مدن أخرى تتلاحق فى الشق الشرقي لنفس الطريق فبالاضافة الى البصرة وسوس الاهواز وحمص ( فى كل من فاس الجديد والاندلس ) توجد فى قلب الاطلس مدينة القاهرة وفى قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد فى الاندلس مدينة تدمير (Todmir)
Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 848
المتساوقة فى اسمها مع تدمر السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من ابرز المراكز التجارية فى هذه الشبكة وكانت اشهر المدن والموانىء فى الخليج آنذاك ابولو جوس اي الأبلة (Abolla) التي ينتمي اليها أبو عبد الله الابلى شيخ ابن خلدون وقد ظلت الأبلة المخرج الرئيسي على الخليج من اجل التجارة الفارسية فى النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خرداذبة الانتباه الى المكانة الهامة التي احتلتها الأبلة فى التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا فى البحر العربي ( أي المتوسط ) ويتجهون نحو انطاكيا ومنها الى بغداد ثم الأبلة فالسند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمي مرتبطة بالبصرة فى النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون واذا كانت مدينة البصرة

الحديثة قد امتصت الأبلة فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجري وهنا يمكن ان نتساءل عن الدور الذي قام به الخوارج لدعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام ، فالأزارقة قد ثاروا فى الاهواز والبصرة حيث استباحوا دماء واعراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلفهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفرية فى المغرب الى قلوب البربر الذين شقوا الطاعة على الخليفة هشام واججوا نار الثورة عام 121 هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فاسست ( عام 140 هـ ) مدينة سجلماسة التي اصبحت حاضرة بني مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجري وهو التاريخ الذي تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجي وكذلك الشيعي فى المغرب بانهزام جوهر الصقلي الذي نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة موئلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة فى نفس الوقت الذي جعلوا من سجلماسة فى قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة اساسية فى سلسلة المراحل التي تأوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدف ان تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب فى القرن الرابع الهجري فى نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ ان استوثقت روابط المغرب بالصحراء فى القرن الخامس بدات اسواق النخاسة تتفق فى خفاء وكذلك كان الامر عندما شكل عنصر الزنج فى الدور العباسي الثاني ( ما بين 233 هـ و 468 هـ أي 847 م 1075 م ) طبقة متميزة فى المجتمع العربي وخاصة فى شمال الخليج فعززوا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقيا ( أي تونس وجزء من الجزائر ) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتىء الأيوليون أن سيطروا فى القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب أي البحر الابيض المتوسط يساندهم فى الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي اندري جوليان أعظم اسطول فى البحر المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وانشأوا الموانىء والمنائر التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهتدي بها السفن وعززوا المرافىء بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مرزوف فى « المسند الصحيح الحسن » (هسبريس (Hesperis) ج 5 عام 1925 ) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين اسفي ( فى المحيط الاطلنطيقي ) وجزائر بني مزغانة ( عاصمة الجزائر الحالية ) تتخابر فيما بينها باشعال النيران فى اعلاها وفى كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنبير يبدو فى المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري ( افريقية والمغرب فى المسالك ص 35 و 48 ) الى محارس سوسة والمنستير وفى هذا العصر استعيض عن الموالي الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقترن اسمهم بها حتى صار الاوربيون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (Esclaves) (1) تقول استعيض عنهم بالزنوج الذين اصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي اي فى تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون ـ اقتصاصا من بني زيري ـ بمائتي الف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار فى هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر فى القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع فى تعريب المغرب وشنقيط والواقع ان الباطنيين من القرامطة او اليديين قد عاثوا فسادا فى افريقية وجاس المغامرون منهم فى مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج فى الادغال الكثيفة وفى هذا العصر حادت طريق البر فى شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر

(1) صقلب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت ( معجم البلدان ج 5 ص 372 ) ولعل قسما من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف

العرب على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجيج لاعتقادهم ان الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الاصنام ولذلك اجهز القرامطة على من سموهم بالكفار وعبدة الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى فى المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بحرابهم وخيولهم فاحتملوا معهم الحجر الاسود الى الاحساء حيث بقي ملقى الى عام 339 هـ / 00 9م .

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا فى الخليج الوقوف فى وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين أشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الاقصى فى القرن السادس الهجري بدعوة من المنصور الموحدي بطل معركة الأرك فى الاندلس .

ومهما يكن فان هذه الاحداث قامت حجر عثرة فى طريق المبادلات التجارية حيث ان الحشاشين من الاسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم فى شرقي الخليج حتى خلال الحكم الايوبي الى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

واذا كانت التجارة قد تقلصت فى هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فان ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب الى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبثين على طول مراحل القوافل شرقا ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فان نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل فى قلب الصحاري الى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد ( أي الزنوج ) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج الا أن عنصرا جديدا ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الاحمر فى وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربي وكانوا قد انشأوا عام 1482 م فى ساحل الذهب أول مستعمرة لهم فى افريقيا وهنا يبرز دور المغرب فى انقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففى عام 1540 م دخل سليمان القانوني الى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين فى معركة ميناء « مصوع » على الساحل الافريقي من البحر الاحمر حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثماني غير انهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية فى الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا اليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب فى الاندلس تقتيلا وتهجيرا ولكن رد فعل المغرب الاقصى كان عنيفا ، ففى عام 986 هـ ( 1578 م ) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جند البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين الفا وقطع اسطولهم الرابضة فى أصيلا والعرائش 847 وزحف الجيش البرتغالي الى وادي المخازن فى متم جمادى الاولى من نفس السنة أي رابع غشت عام 1578 م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الاسلامي شرقا وغربا باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصا من الوجود العربي بالاندلس وتعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين اسبانيا والبرتغال عام 1494 غداة الكشف عن أمريكا ولكن أبى الله الا أن يهزم هؤلاء الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر اسطوله فكانت هذه المعركة ـ كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس ـ المعركة الفاصلة فى تاريخ الصراع بين المسيحيين والاسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للاسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرنا كاملا عام 1622 م اي بعد معركة وادي المخازن بأربع واربعين سنة ، كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام 1649 م الموافق 1059 هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والاسلام طوال اربعة قرون .

واذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث البحري المرحلة الرئيسية فى تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب فى ذهابها وايابها بين اوربا والشرق الاقصى عبر البحر الابيض المتوسط فان كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق الى القرن العاشر

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أججت أوربا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنطلق في حلقات أخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي ، غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف امريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولمبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من ابناء راس الخيمة على الشاطىء الغربي للخليج العربي ، وهذا الرجل هو ابن ماجد احمد السعدي اسد البحر ابن ابى الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي وراس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد اقضت مضاجع اساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف امريكا الذي نسبه الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات اما الى رجال الخليج قبل الميلاد أو الى عالم من علماء الاندلس والمغرب ، فقد تأكد ان الفنيقيين المنتسبين اصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل واسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقة اي لهجة افريقيا الشمالية مما يدل ـ اذا صحت هذه الرواية ـ على أن القرطجنيين ـ وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب ـ هم الذين اسهموا مع المغاربة في اكتشاف امريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف كما اورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroïsme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي أوعز اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الامريكية اكدت في عددها الصادر في ابريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص 13 ) ان الوثائق التي عثر عليها تثبت ان امريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا ـ حسب تعبيره ـ قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الاسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكي » وقد ايد هذه النظرية (1) الدكتور لين شينج بائج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما ايدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الامريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطيقي اممًا وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني ( المتوفى عام 749 هـ ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود ارض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات ( اي كناريا ) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على امريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة ( عبد القادر المغربي ـ محاضرات مجمع دمشق ج 2 ص 233 ) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية ، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما ارادوا ان يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ اذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات المراكب والسفن المغربية مما ادى ببعض الدول الكبرى كالدنمارك (2) والسويد وبعض المرافىء الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا الى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما باسطوله من لصوصية البحر. وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم الى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية الا ان الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طول

(1) راجع الخليج العربي ـ قدرى قلعجي ص 56 .
(2) كانت الدنمارك تدفع سنويا للمغرب 51 000 ويكسدال اي ازيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع في دعم هذا الاتجاه فانشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م ( موافق 1007 و 1010 هـ ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد برأس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا المغرب الاقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكد يهل عام 1640 م ( 1050 هـ ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فتىء ان استفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م ( 1063 هـ ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع ان القراصنة المغاربة قلصوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم في الشرق في نفس الوقت الذي ادى حياد القراصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها في البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام ( الى عام 1912 م ) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث اصبحت دول اوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير اعجاب العالم مما حدا الانجليز الى مفاتحة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك في الهند وفي عام 1600 م وجه المنصور الى اليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بمأمورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الراي مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف جنيه استرليني وانشغل المغرب في لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدره المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيوت ومعادن ( من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالاضافة الى ملح البارود والكبريت ) واصبح للدينار المغربي نفاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 3ر548 غرام وتهافت المضاربون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعيضون بها عما خسروه من صفقات في الخليج (2) بل اصبح المغرب يدلي بدلوه في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض ( ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار ) واكتساح اوربا حيث وجه عملاء للدعاية

---

(1) كان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقيا ومصر ( الخطط للمقريزي ج 1 ص 203 ) وافريقية وخاصة في قابس وحلولا ( المسالك للبكري ـ جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32 ) وكانت معاصر السكر في المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي أزيد من ستمائة الف أوقية ذهبية (وزن الأوقية 30 غرام تقريبا ) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب ( البكري ) خاصة قرب سجلماسة ( كتاب الاستبصار ) والنحاس الخالص الذي لا يعدله غيره شرقا وغربا ( الادريسي ) بالاضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا ( وصف افريقيا للادريسي ص 50 ) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م في منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا في اوربا وذلك بالاضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .

(2) كانت تنبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر اي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم امير في العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المنزاحمة الاجنبية .

غير أن منافسا جديدا ما لبث أن برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتي الامس ( هولندا وانجلترا ) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز فى الخليج ، واستطاع نابليون أن يطأ تراب النيل فاتحا وان يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاض عليه فى مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القراصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين فى المتوسط وفى عرض المحيط الاطلنطيقي الذي نقلوا اليه عملياتهم بعد أن أصبح طريقا جديدا الى الخليج ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر ( قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية ) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع فى امارات الخليج بالنسبة للهولنديين والانجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية فى الشرق وأوربا الشرقية أي القرن السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا ، غير ان الفرنسيين كانوا قد بذوا حتى الهولنديين فى مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت فى عام واحد ( 1698 م ) لمرسى سلا اربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بسنتين شركة تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحوا من سبع وعشرين سفارة ، أولاها عام 1576 م والاخيرة عام 1909 اي قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس فى البحر الابيض المتوسط ، وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يرابط فيها الا ان القراصنة الجزائريين اتخذوها عام 1564 م ( 971 هـ ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق اخوانهم فى الاندلس من نفي وتنكيل وتقتيل وقد تحالف قراصنة سلا ( وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط ) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطية تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايبري فحسب بل ايضا لأنها أعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمانينة فى البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة ، وكان معظم البوارج الحربية فى أوائل العهد العلوي ( أي فى نهاية القرن السابع عشر ) قد اقتنصها القرصان من الاسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي واهمها تسع عشرة سفينة انجليزية واربع فرنسية مما يدل على هيمنة أسطول القرصان الجهادي، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين فى عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعا واربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذاك ينعم فى الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه فى حرب القرم ( 1854 م – 1856 م ) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا ، وكان المغرب يشعر بأن انغماره فى هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بدأوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مغنية عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجرؤ على الدخول فى حلف موجه ضد تركيا المسلمية رغم كونها كانت حجرة عثرة فى سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ أن سيطر العثمانيون عليهما فى منتصف القرن الخامس عشر ، وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربي والمغرب الاقصي وهما شقان متنائيان للوطن العربي الممتد الى المحيط – بظاهرة هي اصالة معظم مصطلحاتهما الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك أن هذه الوصلة التي استوثقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي اشرنا اليها كوحدة الاصل الكنعاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالكي فى مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثة والقرآنية ، ولا شك أن لرواج المصطلحات المالكية فى جميع المناحي الاجتماعية خاصة فى ابي ظبي اثرا قويا فى تكييف هذا التراث الوحدوي ، كما أن احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة اشرنا الى بعضها فى معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة فى عاميتي المغرب والخليج ونشر فى مجلة اللسان العربي ( عدد 5 –

1387 هـ / 1967 م ) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية ، وهاكم جملة منها : البايت ( للباقي من طعام الامس ) والبحرة أو البحيرة (للمستنقع) والبراحة ( للبراح ) والبساسة ( للبساس ) وبغى ( يبغي ( بمعنى أراد ) والبلدة والبلع ( لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية ( لاحدى دوائر الحكومة ) وبلم فمه ( أي أغلقه) والتحسونة أو الحسانة ( للحلاقة ) والجنطة أو الشنطة ( للحقيبة ) والحارة ( للمحلة والحي ) وحب ( بمعنى قبل ) وحويل أو حولي ( أي ما دار عليه الحول والخاطر ( بمعنى الضيف الطارق ) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة ( أي الانف الكبير ) والدرويش (بمعنى الفقير) والربعة ( أو الربيعة لصندوق ايداع أجزاء القرآن ) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الاصابع ) والصيني ( أي اناء النحاس أو الخزف ) والطنا ( بمعنى الاغاظة تقول أطنانسي أي أغاظني ) والعرضة ( أي حفلة الزواج ) والعزيمة ( أي الدعوة الى مأدبة ) والاعشار ( بمعنى الزكوات ) والعمارية ( أي الحفة ) والعيال ( بمعنى الاولاد الصغار ) والغربي ( أي الهواء يهب من جهة الغرب ) والفكغ أو الفقاع ( أي الكمأة ) والكحة ( بمعنى السعال ) وكخ ( للنهي عن الاقتراب من الشيء القذر ) والمرفاعة أو المرفع ( للرف المعلق ) والمشموم ( للباقة من الرياحين ) والمطهر ( للمرحاض ) والمكبة أو المكب ( لغطاء صحن الطعام ) ، وهنالك اسماء أعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الاخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كثبان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز امارة ابي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الثرية واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من امن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصيلة المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط لاطلنطيقي ، وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوانعزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت حائلا اصطناعيا بين اخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا متساوقة ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الاسلامي سندا قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عراه الوثقى مكائد المستعمرين .